

مهارات القراءة و أبعادها الفكرية لدى المتلقي

أ. شاوي فتيحة

جامعة سيدني بلعباس

الملخص:

القراءة فن و مهارة قبل أن تكون مجرد فعل يقوم به المتعلم، ولبولوج المرام والحصول على أكبر قدر من المعلومات وجب إدراك طرق الوصول إليها، عبر خطوات ينبغي تخطيطها، ولمعرفة سر ما كتب وتجاوز المعنى المفتوح على دلالات شكلها السياق و أكدها النسق .

والقراءة تتدرج من سن لآخر حتى تشكل واقعا في المجتمع التعليمي، وفق هذا تأسست المناهج و النظريات تطور كل مرة فعل القراءة حسب السياق اللغوي و المرجعيات المعرفية.

Abstract :

Reading is an art and a skill before being a merely action done by any learner. So, in order to attain the aim and get the largest deal of information we have to understand the ways leading to it through steps to overtaken, as well as to know the secret of what it has been written and go beyond the meaning that is open on basis of signs formed by context and confirmed by the layout.

Besides, reading ranges from one age to another in order to create a reality in the learning community. On that basis, curricula and theories have been established, they develop, each time, the process of reading according to the linguistic context and cognitive references.

قبل الحديث عن القراءة وجب الحديث عن الزمن، ذلك المتغير المستمر الذي به يتغير كل شيء ويؤثر فيه، في صورته الكاملة ندرك البداية كما وصلت إلينا نحو نهاية عرفها الدين أولا، متفاوتة من مكان لآخر، فالزمن ما دخل فيه سار نحو النقصان، غير أن القراءة في تسايها مع الزمن قد تضيف لزمن القارئ مهما نقص فيه، فهي إضافة مستمرة لذهنية تأكد مرجعية للعلم والمعرفة.

وفق هذا القراءة في اللغة: قَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا أي جَمَعْتُهُ، لقوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} ﴿١٧﴾ سورة القيامة. وفي تفسير لهذه الآية الكريمة "ضمن الله للرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا بد أن يحفظه و يقرأه ويجمعه الله في صدره" (1) وفلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام (2) بمعنى فلان سلم عليك وبلغك السلام. وجاء في المنجد: قرأ، يقرأ، قراءة، قرآنًا، وقرأ الكتاب، نطق بالمكتوب فيه، وألقى النظر وطالعه (3)، فالقراءة هي نطق رموز الكتابة مع فهمها وتحليلها وفق ترتيبها.

وفي الاصطلاح: تنوعت التعريفات لعملية القراءة منها تعريف "هاريس ويسباي" بأنها: "تفسير ذات معنى للرموز اللفظية المطبوعة و المكتوبة وقراءة من أجل الفهم، تحدث التفاعل بين إدراك الرموز المكتوبة التي تمثل اللغة ومهارات اللغة للقارئ ويحاول القارئ فك رموز المعاني التي يقصدها الكاتب" (4)، فالقراءة عملية معقدة تدخل فيها حواس ومهارات مختلفة، ويدخل في إطارها ذكاء وخبرة القارئ، وهي "واحدة من أهم المهارات التي نتعلمها، ونحن نقرأ كي نتواصل مع الآخرين، أو لتعلم ما نريد، وما نحتاج معرفته، أو لنمتنع أنفسنا، تتصل معظم قراءتنا بالعمل، ونحن نقضي عددا كبيرا من الساعات في القراءة المتعلقة بالعمل والوظيفة" (5). ومن هذا يمكن اعتبارها عملية حتمية تجاه ثقافة التخصص وعملية ذات طابع حضاري إذا ما احتوت معارف خارج إطار الوظيفي .

ومن بين تعريف العربية لهذا المصطلح أن: "مفهوم القراءة يتمثل في القدرة على تعرف الحروف والكلمات والنطق بها" (6)، فهي مرتبطة بما يخط أولا والسعي لإدراكه وفهمه ومن بين التعاريف أيضا: "القراءة نشاط ذهني مكتسب يتطلب الخبرة والدراية، وهي مهارة نفسية وعقلية وحركية وروحية مكتسبة، وتعد من المهارات الحياتية الهامة على مستوى تربية الفرد وتنمية المجتمع على حد سواء؛ بل هي مقياس دقيق من مقاييس الرقي الحضاري، وخير أداة للاستكشاف الدائم والمعرفة

النافعة"⁽⁷⁾، فيمكن عدّها عملية كاملة من عمليات التواصل وخبرة لغوية مستمرة لهذا هي عملية آلية تهدف إلى التعرف على الرموز المكتوبة وفكها، وتجميعها في مقاطع صوتية، ثم في كلمات، أو هي عملية معالجة لمعلومات معروضة للوصول إلى معناها، وبهذا المعنى يحصل التفاعل بين القارئ وما يقرأه"⁽⁸⁾، فلا يتفاعل القارئ مع المعنى في المقروء قبل أن يتمكن من التمييز الصوتي والبصري للكلمات المكتوبة.

ولهذا تقوم القراءة على عمليتين منفصلتين: "العملية الأولى هي الشكل الاستاتيكي والمقصود بها الاستجابات الفسيولوجية لما هو مكتوب، والعملية الثانية: عملية عقلية يتم خلالها تفسير المعنى وتشمل هذه العملية التفكير والاستنتاج"⁽⁹⁾، فالقراءة تشمل معرفة الكلمات ودلالاتها، وتشمل بالإضافة إلى ذلك التفكير النقدي، حيث يجب أن يربط القارئ ما يقرأه بخبرته السابقة، ويجب أن يفسر المادة المقروءة ويقومها مستخدماً في ذلك التفكير والخيال، ويمزج الأفكار الجديدة، ويقارنها بما قد تعلمه من قبل حتى تتشكل الرؤية واضحة حول النص.

للقراءة أنواع فهي تنقسم إلى قسمين: من حيث الأداء ومن حيث الغرض، وهي من حيث الأداء تنفرع إلى قراءة صامتة هي قراءة يدرك بها القارئ المعنى المقصود بالنظرة المجردة من النطق أو الهمس، والنجاح فيها يتوقف على التدريب وتكوين عاداتها وأهميتها مزدوجة باعتبارها الوسيلة لفهم المعنى"⁽¹⁰⁾ تركز على الرؤية دون الكلام لاكتشاف دلالاتها وإدراك معانيها، وقراءة جهرية هي القراءة التي ينطق القارئ من خلالها بالمفردات والجمل المكتوبة صحيحة في مخارجها مضبوطة في حركاتها مسموعة في آدائها معبرة عن المعاني التي تضمنتها"⁽¹¹⁾ ونطق رموز الكلمات يكون صوتاً مسموعاً، سواء خافتاً يسمعه القارئ نفسه ومن حوله، أو صوتاً عالياً كتدريبات القراءة في الأقسام التعليمية.

أما من حيث الغرض يمكن إجمالها في مايلي: "قراءة للدرس وهي ترتبط بالحياة المدرسية والمهنية، كقراءة الطالب دروسه وقراءة الموظف معاملاته وغير ذلك من متطلبات الحياة العملية"⁽¹²⁾، وهذه القراءة تعتمد على التأني والتركيز العميق وحتى التكرار بالعودة إلى الكلمات مرة أخرى، والغرض الثاني "قراءة للاستمتاع، حيث ترتبط بقضاء وقت الفراغ قضاء ساراً ممتعاً، وتمحى منها الأغراض العملية، والدافع إلى مثل هذا النوع من القراءة إما حب الاستطلاع، وفي هذه الحالة يكون المقروء من الموضوعات الواقعية، وإما الرغبة في الفرار من الواقع وأثقاله وجفافه، والتماس المتعة والسلوى، وقد يكون المقروء في هذه الحالة من صنع الخيال"⁽¹³⁾، ويدخل في هذا النوع من القراءة كتب الترفيه والفكاهة والطرائف والعديد المجالات التي يكون الغرض منها الترويح عن النفس. وهناك أنواع أخرى للقراءة صنفها الكتب على حسب الحركة أو على حسب الهدف منها، فنجد الدكتور "حبيب مونسي" قد صنفها في كتابه فعل القراءة النشأة والتحول إلى أربع أنواع تمثلت في القراءة التقويمية و"هي تحيل النص على المنظومة - تجري شيئاً من التقويم؛ لأنها ستقابل بين أفقين للانتظار، يعمل - في تماسهما - الرفض والقبول، والتجاهل، والثورة...، وهي هيئات تنتاب القارئ أمام النص، تعمل فيها موازينه الخاصة على القبول والرفض"⁽¹⁴⁾، والقراءة التأويلية والتي تعني قراءة ما وراء دلالة الكتابة النصية والعلاقة بين الألفاظ "قراءة الغائب، وتمثل ما وراء ظلال دلالة الكلمات، من خلال النص المائل، الذي هو شبكة من التيمات المركبة التي يحيل حاضرها على غائبها، وراهنها على غايرها"⁽¹⁵⁾، والقراءة التقريرية بجديها وقوفاً عند الحقيقة والجواز وتعد سبيلاً للامتداد نحو عمق النص بداية من سطحه لاكتشاف عالم إبداع غير ما خطه المؤلف عن طريق التقرير، والقارئ السلطة"^(*) استناداً لمقولة موت المؤلف، ويمثل القارئ سلطة على النص بفعل العلاقة التأويلية القائمة بين الفكر والمعنى دون العودة إلى مؤلف النص، فعملية القراءة في هذا الصدد تسير بين مد المعنى و جزر اللفظ لضم فحوى النص انطلاقاً من لغة النص ذاتها .

القراءة فعل وجب القيام به كباقي الأفعال التي يقوم بها الإنسان، والتي تعد ضرورية، كذلك القراءة إذا ما اتخذت فعلا حتميا كالحتميات الضرورية في الحياة من أكل و شرب إلى غير ذلك، فدرجة الاهتمام لتلبية هته الحاجات بدافع غريزة البقاء كذلك لتنمية المهارات العقلية يجب الاهتمام بفعل القراءة حتى تضمن عملية الاستمرار نحو الرقي الفكري. من جملة أهم الدوافع التي تركز عليها عملية القراءة :تكوين عادة القراءة، وذلك بالممارسة عن طريق التعلم و المواظبة عليها حتى تصبح عادة بالتدرب عليها عبر الزمن و"عادة القراءة لن تتكون لدى الإنسان إلا عندما يشعر بشيء من المتعة واللذة عندما يقرأ، وهذا لن يكون إلا حين تكون القراءة عبارة عن نوع من الاكتشاف، ونوع من تنمية العقل، وتوسيع قاعدة الفهم، وكل ذلك مرهون بامتلاك طريقة جديدة للتعامل مع المواد العلمية المقررة على الطلاب"⁽¹⁶⁾، فالعادة تتكون بجعل مفهوم القراءة لدى المتعلم مفهوما للمتعة والاكتشاف حتى يكون التعلم رغبة لا واجب، كذلك من دوافع القراءة السعي على توفير الكتاب بشق الطرق و بإبداع إستراتيجية هادفة لتحقيق القراءة بشق الطرق والوسائل، فليست المشكلة في المال لشراء الكتب، بل هي في طريقة التفكير وكيفية الإنفاق بداية من جعل القراءة أمر ضروري في الحياة تعظيما لها وتقديسا، وليس أمرا حتميا للتعلم .

من أهم الدوافع مما سبق توفير الوقت للقراءة، فأكبر استثمار في الحياة هو استغلال الوقت واستثماره في التحصيل العلمي والتطوير الذاتي والتنمية البشرية، وأكبر معين في تحقيق ذلك فعل القراءة"فلا بد من جعل وقت محدد للقراءة لا يتخلف عنه، ويكون ذلك أحد برامج يومه ذلك أن المشكلة الأساسية لدى من لا يقرأ هو أنهم لا يملكون أية أهداف، أو أية برامج، ومن أجل هذا فرطوا في أوقاتهم، ونسوا مآلها بما يفيد"⁽¹⁷⁾، ولتحقيق الهدف من القراءة يستدعي الأمر تخصيص وقت محدد ومعين لفعلها دون الرضوخ لأي عارض قد يحيل بين القراءة وفاعلها في زمنها المحدد، كما أن استغلال وقت الانتظار وما أكثره في أيامنا، فهو عند الطبيب وفي المستشفى ولدى الإدارات وعند التنقل وفي محطات السفر بأنواعها، قال "الزرنوجي" (ت640هـ): "وينبغي أن يستصحب دفترًا على كل حال ليطالعه، ومن لم يكن له دفتر في كفه لم تثبت الحكمة في قلبه"⁽¹⁸⁾، فينبغي أن يمثل الكتاب هاجسا لدى القارئ، و يكون من أولى الأولويات؛ ليكتسب به رغبة مشتعلة حبا للمعرفة و شغفا بالعلم .

قبيضة جو القراءة دافع آخر لفعلها وله شروط ينبغي توفيرها من أجل جعل الجو المناسب ومهيأ قبيضة تفضي لأقصى النتائج الممكن تحقيقها بأعلى الدرجات، وليس كل الأمكنة مناسبة للقراءة، ولتحقيق الارتياح النفسي والجسدي يجب أن يكون التنظيم سائدا في المكان وحتى جميلا ليعتد الانشراح في النفس بعيدا عن الفوضى والضوضاء حيث هناك مقاييس علمية لذلك"فينبغي أن تكون حجرة الدراسة صحية حسنة التهوية، جيدة الإضاءة، وينبغي أن تكون درجة الحرارة فيها بين 15 و21 درجة حتى يحتفظ القارئ بنشاطه، ويستطيع الاستمرار مدة طويلة... العبرة ليست بكثرة الجلوس في حجرة الدراسة، ولا بكثرة الكتب التي تقرأ، وإنما بالإنتاجية والثمرة التي نقطفها، وهذا يوجب علينا أن نحرص على الاحتفاظ بدرجة من الحيوية والارتياح أثناء القراءة، وهذا لا يمكن الحصول عليه إلا من خلال جعل أوقات الاستراحة، والانشغال بشيء غير التفكير والتعامل مع المعلومات"⁽¹⁹⁾؛ لكن من الدوافع غير هذه وجب على القارئ التحلي بها كالإرادة والصبر والعزيمة والطموح والمثابرة والاستمرارية الذاتية نحو تحقيق أهداف من القراءة حتى تكون لكل ما سبق من الدوافع حمولة ذات قيمة تعليمية حتى نعيد صياغة جديدة للفكر والوجود الذاتي.

للقراءة مهارات وجب اكتسابها حتى يتسنى للقارئ التمكن من استيعاب المعارف ومعلومات عن طريقها، إذ يجمع التربويون على أن عملية التعليم تتضمن ثلاثة مجالات رئيسية هي: التخطيط والتنفيذ والتقويم والخبراء في مجال القراءة

أجمعوا على خمس مهارات للقراءة الناقدة تتمثل في: القدرة على تحديد الأفكار الرئيسية والتفريق بين الحقائق والآراء، والتفريق بين الأسباب والنتائج، وعمل الاستنتاجات وتقويم المقروء⁽²⁰⁾، وللقراءة مهارات أخرى لاستيعابها أهمها: التهيئة-تهيئة الجسم والنفس والمكان وذلك بتهيئة الجو الملائم للقراءة و"راحة الجسم والعقل المتمثل في الإصلاح الذاتي وتحديد الطاقة، وتهيئة النفس في ابتعاد عن القلق مع غلق ملف المشكلات واسترخاء النفس، مع الفحص الدائم للعين للسلامة والتخلص من مصادر الإزعاج الصوتي الخارجية للتركيز أكثر"⁽²¹⁾ مع الجلوس في مكان هادئ واختيار المقعد المريح والتنفس بعمق والابتعاد عن الناس السليين تفكيراً.

التصفح (skimming)⁽²²⁾، وذلك بالتركيز على العناصر الأساسية (العنوان، المؤلف، دار النشر، الفهرس، أهم العناصر)، والفهم (understanding). بمعدل قراءة حروف الكلمات مع شرحها، وتفضيل القراءة الجهرية-في الصمت يكون معدل القراءة لدى القارئ ما يقرب 150 كلمة في الدقيقة، أما من يقرأ بصوت مسموع يكون معدل القراءة 250 كلمة في الدقيقة الواحدة-⁽²³⁾ هذا يعني زيادة استيعاب العين لعدد الحروف أو الرموز، ويتم ذلك بمهارة أخرى هي تركيز العين بالتركيز على وسط الصفحة، مع استخدام البصر والأيدي للإشارة إلى الكلمات، ومختلف الألفاظ بالتتابع قصد تفاعل العين والعقل في نفس الوقت مع المعلومات الموجودة، وهذا ما يعرف بالقراءة الحيوية باسترجاع المعلومات بتنظيم محتوى القراءة. وهناك قراءة طبقاً للمعنى وصولاً للفكرة الرئيسية هذا ضمن مهارات عقلية وبصرية تتمثل في المسح (نظرة سريعة للعنوان والأشكال الفرعية، التوقع تقدير المحتويات) وطرح الأسئلة التي تساعد في سرعة الفهم مع المزيد من التوقعات، مما يؤدي إلى ارتفاع وانخفاض في سرعة القراءة للتعرف على المعاني المهمة والغير المهمة، عن طريق القراءة بصوت عال لاستيعاب أكثر، وأخيراً التقييم لمراجعة التوقعات.

عنصر أخير من مهارات القراءة التلخيص و"هو فرز واستخلاص معلومات مهمة بصورة مختصرة وموجزة قصد تحديد الأفكار الجوهرية"⁽²⁴⁾، ولعملية التلخيص شروط هي: القراءة السريعة للموضوع، وإجابة عن السؤالين (موضوع المضمون وهدف الموضوع)، والجملة الرئيسية هي التي تحدد الإشكالية، مع جمع المعلومات المهمة باستخدام الأسلوب الخاص. إن أبعاد القراءة ومهاراتها تفرض وجود متلقي ذو رؤية بعيدة مالكة لأطر فكرية تعليمية شاملة تؤهله للتواصل والإستيعاب من خلال مرجعياته الثقافية والمعرفية التي تمنح الإستمرار لقراءة لا متناهية غير أن واقع القراءة في المجتمع التعليمي يركز على مفاهيم جزئية محدودة أنتجت لنا قراءة واحدة أعاققت تنمية الذات الفردية وحدث من رقي الفكر الإنساني لتستنسخ نموذجاً لمتلقي عقيم. رغم هذا يجب أن تكون القراءة في كل الأحوال؛ لأنها تعد من أسباب النجاح أساسها التفكير المستمر، انقطاع عن الملهيّات، صبر على الخلوة الموحشة، العمل الجاد لتحقيق تنمية الذات الفردية ولرقي الفكر الإنساني.

- (1) - عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، تق: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل و محمد بن صالح العثيمين، تح: عبد الرحمان بن معلل اللويحي، دار ابن الحزم، لبنان، ط2، 2003، 1، ص: 760.
- (2) - ابن نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: بديع يعقوب، محمد نبيل الطرقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1999، ج1، ط1، ص: 99.
- (3) - المنجد في اللغة و الإعلام، علي بن الحسن الهنائي الأزوي دار المشرق، لبنان، 2008، ط2، ص: 617.
- (4) - أحمد عبد الكريم حمزة، سيكولوجية عسر القراءة، (الديسليكسيا)، دار الثقافة، ط2008، 1، ص: 11.
- (5) - جويس تيرلي، مهارات القراءة السريعة، تر: بشير عيسوي، مر، ابراهيم بن حمد القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية، مؤسسة الرياض، بيروت، ط2010، 1، ص: 15.
- (6) - خالد بن عبد الله راشد، برنامج مقترح لتنمية مهارات القراءة الصامتة و أثره في تحصيل مستوى التحصيل الدراسي، رسالة د، قسم علم النفس، كلية التربية جامعة الملك سعود، إشراف: طريف شوقي محمد فرج المملكة العربية السعودية، 2001، ص: 16.
- (7) - لطيفة حسين الكندري، تشجيع القراءة، المركز الإقليمي، الكويت، ط2004، 1، ص: 7، 6.
- (8) - أنطوان صباح و آخرون، تعليمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2006، 1، ص: 55.
- (9) - أحمد عبد الله أحمد وفهيم مصطفى محمد، الطفل ومشكلات القراءة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 01، 1988م ص: 30.
- (10) - ينظر عبد المنعم سيد عبد العال، طرق تدريس اللغة العربية، دار غريب، القاهرة، دط، 2008، ص: 83.
- (11) - راتب قاسم عاشور و محمد فؤاد الحوامدة، فنون اللغة العربية و أساليب تدريسها بين النظرية و التطبيق، ط2009، 2، ص: 78.
- (12) - حبيب مونس، فعل القراءة النشأة و التحول، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة، عبر أعمال عبد الملك مرتاض، منشورات دار الغرب، وهران، ط2001، ص: 157.
- (13) - ينظر عبد الملك مرتاض، القصيدة الأحمد من التخلي عن التقفيه إلى الإيغال في التعمية، الموقف الأدبي ع: 307 تشرين الثاني 1996 دمشق، ص: 143.
- (14) - عواد بن الدخيل عواد الدخيل، أثر برنامج تدريبي في تنمية مفهوم القراءة لدى معلمي اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، إ: د. صالح بن عبد العزيز النصار، قسم المناهج و طرق التدريس، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2006، ص: 31.
- (15) - خالد بن عبد الله راشد، برنامج مقترح لتنمية مهارات القراءة الصامتة و أثره في تحصيل مستوى التحصيل الدراسي، ص: 18.
- (*) تكتسي صفة التسلسل فعالية مزدوجة، عندما يقوى النص على إدراج القارئ بعدا من أبعاده، ففيه يتم السير، و التقصي، و الاستقصاء. و عندما يقوى القارئ على إدراج النص في منظومته القرائية، حينها تحمل لغة النص -احتمالا- مقاصد القراءة المشروطة بالزمان و المكان، مادام تغيير الشرط القرائي يغير من المقصديات تباعا. نشأة القراءة لحبيب مونسى ص: 165.
- (16) - عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة مفاهيم و آليات، دار القلم، دمشق، ط2008، 6، ص: 21.
- (17) - فهد بن صالح محمد الحمود، قراءة القراءة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2006، 2، ص: 25.
- (18) - ينظر فهد بن صالح محمد الحمود، قراءة القراءة، ص: 26.
- (19) - عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة مفاهيم و آليات، ص: 28.
- (20) - سعاد عبد الكريم عباس الوائلي، و ضياء محمد أبو الرز، درجة ممارسة معلمي اللغة العربية لتدريس مهارات القراءة الناقدة في الصف العاشر أساسي و أثرها في تحصيل الطلبة و اتجاهاتهم نحو القراءة، الجامعة الهامشية، كلية العلوم التربوية قسم المناهج و التدريس، الأردن، ص: 4.
- (21) - سعاد عبد الكريم عباس الوائلي، و ضياء محمد أبو الرز، درجة ممارسة معلمي اللغة العربية لتدريس مهارات القراءة الناقدة في الصف العاشر أساسي و أثرها في تحصيل الطلبة و اتجاهاتهم نحو القراءة، ص: 39-40 بتصرف.
- (22) - محمد عبد الغني حسن هلال، مهارات القراءة السريعة الفعالة -القراءة في عصر الانفجار المعلوماتي، مركز تطوير الأداء و التنمية، مصر، ط2004، 1-2005، ص: 43.
- (23) - محمد عبد الغني حسن هلال، مهارات القراءة السريعة الفعالة -القراءة في عصر الانفجار المعلوماتي، ص: 50. (بتصرف)
- (24) - نفس المصدر، ص: 72.